

تفاسير وتأويلات

سورة العلق

عرائس البيان في حقائق القرآن / البقلي

روح البيان في تفسير القرآن / اسماعيل حقي

إختصار وإعداد: قدري جاد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

---

* عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت 606 هـ) مصنف و مدقق مرحلة اولى

{ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ } * { عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }

قوله تعالى { ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }

علَّم بعضاً بالأفعال وعلم بعضاً بكشف الصفات وعلم بعضا بظهور الذات
علم أهل الملكوت بالعلم ما بان من علم القدم .
وعلم آدم الأسماء بغير العلل علم الإنسان ما لم يعلم من نعوت القدمية
وأسمائه الأزلية حين عاين الحق له بالصفة
حيث قال خلقت بيدى
ثم عاين له بالذات
حيث قال ونفخت فيه من روحى .

علم العارف ما لم يعلم من أسراره المكتومة وأنبائه العجيبة
وكلماته السرمدية التى كل حرف منها دليل إلى عيان عيانه وبيان بيانه.

قال سهل فى قوله علم بالقلم اثبت فى اللوح ما جرى العلم والقلم.

{ كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ } * { أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ } * { إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ }

قوله تعالى { كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ }

الإنسان الخسيس يطغى برؤية الدنيا الدنية

وأى الإنسان هذا من الإنسان الذى استغنى بالله واستغرق فى جمال الله واتصف بصفات الله وصار متحداً بالوحدة وسَكِراً من شراب العزة

وغلب عليه الأنانية فيطغى برؤية أنوار الإيقان ولا يعلم أنه فى حواشى

بحار عظمته ولم يذق منها قطرة بالحقيقة

فلما أعلمه الحق أنه لا شئ

وفي لا شئ من الربوبية أحوجه إلى مقام الإرادة برجوعه إليه بنعت الإفتقار بعد ما رجع بالصفة إلى معدن الذات وهذان المعنيان فى قوله

{ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ } قال ابن عطا رؤية الغنى يورث الطغيان والبطر

لأن الغنى يورث الفخر والفخر يورث الطغيان .

{ كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب }

قوله تعالى { وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِبْ }

لما انكشفت صفات القدم كاد أن يسكر ويشطح ويغلب

بما رأى فى نفسه من إحاطة أنوار الربوبية جره الحق من مقام الربوبية

إلى معدن العبودية بأن نصب له فى سجوده حجال الأنس ومهد له فيه

بساط القدس ليدنو به منه ويقطع مفاوز الآزال والآباد

فى سجدة واحدة.

ليس الإقتراب بالاكتساب

إنما أراد خلو سره عن الدارين وتربيته

فى مقام العبودية حتى يكون إماماً للصديقين والمتمكنين من العارفين

وأهل الإرادة من المؤمنين إظهاراً للتواضع والتذلل لجبروته وملكوته.

قال ابن عطا إقترب إلى بساط الربوبية فقد أعتقناك من بساط العبودية.

وقال الواسطى العوام متقلبون فى صفات العبودية

والخواص مكرمون باوصاف الربوبية ولا يشهدون غير صفات الحق

لأن العوام لا يحتمل الصفات لضعف أسرارهم وبعدهم عن مصادر الحق

قال جعفر: اقترب من حيث العبودية فقد قربتك من حيث الربوبية.

روح البيان في تفسير القرآن/ اسماعيل حقي (ت 1127 هـ) مصنف و مدقق *

{ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ }

(إقرأ) أى ما يوحى إليك يا محمد فان الأمر بالقراءة يقتضى المقروء قطعاً

وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتماً

سوآء كانت السورة أول ما نزل أم لا فليس فيه تكليف ما لا يطاق

سوآء دل الأمر على الفور أم لا ، والأقرب أن هذا إلى قوله ما لم يعلم

أول ما نزل عليه ﷺ على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة

والخلاف انما هو فى تمام السورة عن عائشة

أول ما ابتدئ به رسول الله عليه السلام من النبوة حين اراد الله

به كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤيا

إلا جاءت كفلق الصبح أى كضيائه وإنارته فلا يشك فيها أحد كما لا يُشك

فى وضح ضياء الصبح،

وإنما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل

بالرسالة فلا تتحملها القوة البشرية لأنهما لا تحتمل رؤية الملك

وإن لم يكن على صورته الأصلية ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به
فكانت الرؤيا تأنيسا له وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر على ما هو أدنى الحمل
ثم جاءه الملك فعبر من عالم الرؤيا الى عالم المثال.

ولذا قال الصوفية أن الحاجة إلى التعبير إنما هى فى مرتبة النفس الأمارة
واللوامة وإذا وصل السالك إلى النفس الملهمة

كما قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها قَلَّ احتياجه إلى التعبير

لأنه حينئذ يكون ملهما من الله تعالى فمرتبة الإلهام له كمرتبة مجيئ الملك
للرسول عليه السلام فإذا كانت مدة الرؤيا ذلك العدد يكون ابتدآؤها

فى شهر ربيع الأول وهو مولده عليه السلام ثم أوحى إليه فى اليقظة

فى شهر رمضان وكان عليه السلام فى تلك المدة إذا خلا يسمع ندآء

يا محمد يا محمد

ويرى نوراً أى يقظةً وكان يخشى أن يكون الذى يناديه تابعا من الجن

كما ينادى الكهنة وكان فى جبل حرآء غار وهو الجبل الذى نادى

رسول الله بقوله الىَّ يا رسول الله

لما قال له: ثبير وهو على ظهره اهبط عنى يا رسول الله فإنى أخاف

أن تقتل على ظهرى وكان عليه السلام يتعبد فى ذلك الغار ليالى ثلاثاً وسبعاً وشهرا ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك فى تلك المدة وقبلها.

وأول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب ثم تبعه سائر المتألهين وهم ابو امية بن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما وكان ورقة بن نوفل

بن اسد بن عبد العزى بن قصى ابن عم خديجة رضى الله عنها

وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبرى وكان شيخا كبيرا قد عمى

فى اوآخر عمره ثم لما بلغ عليه السلام رأس الاربعين ودخلت ليلة

سبع عشرة من شهر رمضان جاءه الملك وهو فى الغار

كما قال الإمام الصرصرى رحمه الله.

وأتت عليه أربعون فاشرقت شمس النبوة منه فى رمضان

قالت عائشة: جاءه الملك سحر يوم الإثنين

فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى أى ضمنى وعصرنى ثم أرسلنى فعله ثلاث مرات ثم قال: إقرأ إلى قوله مالم يعلم.

واخذ منه القاضى شريح من التابعين أن المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرءآن أكثر من ثلاث ضربات فخرج عليه السلام من الغار

حتى إذا كان فى جانب من الجبل سمع صوتاً يقول:

" **يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل** "

ورجع إلى خديجة يرجف فؤآده فحدثها بما جرى فقالت له:

أبشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده

إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الامة

ثم انطلقت الى ورقة فاخبرته بذلك فقال فيه:

فإن يك حقً يا خديجة فاعلمى حديثك إيانا فأحمد مرسل

وجبريل يأتيه وميكال معهما من الله وحى يشرح الصدر منزل يفوز به من فاز عزاً لدينه ويشقى به الغاوى الشقى المضلل

فريقان منهم فرقة فى جنانه وأخرى بأغلال الجحيم تغلل.

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وإنما كان كذلك ليذهب عنه

ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق إلى العود وكانت مدة الفترة

أى فترة الوحى بين إقرأ وبين يا أيها المدثر

وتوفى ورقة فى هذه الفترة دفن فى الحجون وقد آمن به عليه السلام وصدقه قبل الدعوة التى هى الرسالة ولذا قال عليه السلام

" **لقد رأيته فى الجنة وعليه ثياب الحرير** "

ثم " نزل يا أيها المدثر قم فأنذر" فظهر الفرق بين النبوة والرسالة

قال بعض العارفين أهل الارداة فى الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب
ألا ترا أنه لما قيل له اقرأ استقبله الأمر من غير طلب ونظيره

ألم نشرح لك صدرك فانه فرق بينه وبين قول موسى

رب اشرح له صدرى.

{ باسم ربك } متعلق بمضمر

هو حال من ضمير الفاعل أى ملتبسا باسم الله تعالى

أى مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزآء المقروء،

أى قل بسم الله الرحمن الرحيم ،ثم اقرأ فعلم أن اقرأ باسم ربك

نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الإمام البخارى .

أمره بذلك لأن ذكر إسم الله قوة له فى القراءة وأنس بمولاه

فإن الأنس بالإسم يفضى إلى الانس بالمسمى

والذكر باللسان يؤدى إلى الذكر بالجنان.

والباء فى باسم بِره تعالى على المؤمنين بأنواع الكرامات فى الدارين

والسين كونه سميعاً لدعاء الخلق جميعاً،

والميم معناه من العرش إلى تحت الثرى ملكه وملكه،

وفى الكواشى دخلت الباء فى اقرأ بسم ربك لتدل على الملازمة والتكرير
كأخذت بالخطام ولو قلت اخذت الخطام لم يدل على التكرير والدوام

وفى كتاب شمس المعارف أول آية نزلت على وجه الأرض.

بِسۡمِ اللَّهِ الرَّحۡمَٰنِ الرَّحِيمِ

يعنى على آدم الصفى عليه السلام فقال آدم الآن علمت أن ذريتى

لا تعذب بالنار ما دامت عليها ثم أنزلت على ابراهيم عليه السلام

فى المنجنيق فانجاه الله بها من النار ثم على موسى عليه السلام

فقهر بها فرعون وجنوده ثم على سليمان عليه السلام

فقالت الملائكة الآن والله قد تم ملكك

فهى آية الرحمة والامان لرسوله واممهم ولما نزلت على رسول الله ﷺ

فى سورة النمل إنه من سليمان وانه بِسۡمِ اللَّهِ الرَّحۡمَٰنِ الرَّحِيمِ

كانت فتحاً عظيما فأمر رسول الله فكتبت على رؤوس السور

وظهور الدفاتر وأوآئل الرسائل وحلف رب العزة بعزته ان لا يسميه

عبد مؤمن على شئ إلا بورك له فيه وكانت لقائلها حجابا من النار،

وهى تسعة عشر حرفا تدفع تسعة عشرة زبانية.

وفى الخبر النبوى لووضعت السموات والأرضون وما فيهن وما بينهن

فى كفة والبسملة فى كفة لرجحت عليها يعنى البسملة.

{ الذى خلق } وصف الرب به لتذكير أول النعماء الفائضة عليه منه تعالى

والتنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة

وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية

من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات .

قادر على تعليم القرآءة للحيِّ العالم المتكلم أى الذى له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه فيكون خلق منزل منزلة اللازم، وبه يتم مرام المقام

لدلالته على أن كل خلق مختص به،

أو خلق كل شئ فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم.

وقال فى فتح الرحمن لما ذكر الرب وكانت العرب فى الجاهلية تسمى الأصنام أربابا جاء بالصفة التى لا شركة للأصنام فيها فقال:

الذى خلق .

{ خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ }

(خلق الانسان } على الأول تخصيص لخلق الإنسان بالذكر

من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدآئع الصنع والتدبير

وعلى الثانى إفراد للإنسان من بين سائر المخلوقات بالبيان

وتفخيم لشأنه إذ هو أشرفهم وعليه نزل التنزيل وهو المأمور بالقرآءة

ويجوز أن يراد بالفعل الأول، أيضا خلق الإنسان ويقصد بتجريده

عن المفهوم الإبهام ثم التفسير .

و(ما) لتخفيم فطرته { من علق } جمع علقة كثمر وثمرة وهى الدم الجامد

وإذا جرى فهو المسفوح أى دم جامد رطب يعلق بما مر عليه لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الأولى والآخرة من التباين البين،

وايراده بلفظ الجمع حيث لم يقل علقة بناء على أن الإنسان

فى معنى الجمع لأن الألف فيه للإستغراق لمراعاة الفواصل،

ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الانسانية

مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه

بالنسبة إلى الانسانية ، ولما كان خلق الإنسان أول النعم الفائضة

عليه منه تعالى وأقوم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكماله قدرته

وعلمه وحكمته

وصف ذاته تعالى بذلك أولاً

ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القراءة.

وفى حواشى ابن الشيخ أن الحكيم سبحانه لمّا أراد أن يبعثه رسولاً

إلى المشركين لو قال له إقرأ باسم ربك الذى لا شريك له

لأبوا أن يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم فى ذلك مقدمة

تلجئهم إلى الإعتراف به حيث أمر رسوله،

أن يقول لهم أنهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم إنكاره

ثم أن يقول لهم لا بد للفعل من فاعل

فلا يمكنهم أن يضيفوا ذلك الفعل إلى الوثن لعلمهم بأنهم نحتوه.

فبهذا التدريج يقرون بأنى أنا المستحق للثناء دون الأوثان.

لأن الإلهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيئاً

كيف يكون إلهاً مستحقا للعبادة ومن هذه الطريقة

ما يحكى أن زفر لما بعثه أبو حنيفة إلى البصرة لتقرير مذهبه فيهم

فوصل إليهم وذكر أبا حنيفة فمنعوه ولم يلتفتوا إليه فرجع إلى أبى حنيفة واخبره بذلك فقال له أبو حنيفة إنك لم تعرف طريق التبليغ

لكن ارجع اليهم واذكر فى المسألة أقاويل أئمتهم ثم بين ضعفها

ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وحجتى،

فاذا تمكن ذلك فى قلبهم

فقل هذا قول أبى حنيفة فإنهم حينئذ يستحسنونه فلا يردونه.

{ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ }

(إقرأ } أى افعل ما أمرت به وكرر علامة الأمر بالقرآءة تأكيدا للإيجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى { وربك الأكرم } إلخ،

فإنه كلام مستأنف ولذا وضع السجاوندى علامة الوقف الجائز

على خلق وارد لإزاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله " ما أنا بقارئ " يريد أن القرآءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمِّى فقيل له:

وربك الذى أمرك بالقرآءة مبتدئاً بإسمه وهو الأكرم

أى الزآئد فى الكرم على كل كريم فإنه ينعم بلا غرض ولا يطلب مدحاً

أو ثواباً أو تخلصاً من المذمة.

وأيضاً أن كل كريم إنما أخذ الكرم منه فكيف يساوى الأصل.

وقال ابن الشيخ: ربك مبتدأ والأكرم صفته والذى مع صلته خبر.

{ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ }

(الذى علم بالقلم) أى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره ،

فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما.

وقال بعضهم علَّم الخط بالقلم والقلم ما يكتب به لأنه يُقلِّم ويقص ويقطع..
وفيه امتنان على الإنسان بتعليم علم الخط والكتابة بالقلم،

ولذلك قيل " العلم صيد والكتابة قيده ".

وقيل وما من كاتب إلا سيبلى ويبقى الدهر ما كتبت يداه،

فلا تكتب بكفك غير شئ يسرك فى القيامة إن تراه.

***

ولولا القلم ما استقامت امور الدين والدنيا

وفيه إشارة

إلى القلم الأعلى الذى هو أول موجود وهو الروح النبوى عليه السلام

فإن الله علَّم القلب بواسطته ما لم يعلم من العلوم التفصيلية.

قال كعب الاحبار أول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب

كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة..

كتبها فى الطين ثم طبخه فاستخرج إدريس ما كتب آدم ،

وهذا هو الأصح وأما أول من كتب خط الرمل فإدريس عليه السلام،

وأول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس،

واول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام.

قال السيوطى:أول ما خلق الله القلم قال له اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وأول ما كتب القلم

أنا التواب أتوب على من تاب.

قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق وتعليم القلم

أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة وأعلاها كونه عالماً،

فالله تعالى امتن على الإنسان بنقله من أدنى المراتب وهى العلقة إلى أعلاها وهو تعلم العلم ثم الله الذى خلق الإنسان على صورته الحقيقية

خلقه من علقة التجلى الأولى الحبِّى المشار إليه

بقوله:

كنت كنزا مخفيا فاحببت أن اعرف فخلقت الخلق

فصارت المحبة الذاتية علقة بالإيجاد الحىّ وهو أكرم الاكرمين،

إذ هو جامع محيط بجميع الأسماء الدالة على الكرم،

كالجواد والواهب والمعطى والرازق وغيرها.

{ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَانَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ }

(علم الإنسان ما لم يعلم) بدل اشتمال من علَّم بالقلم وتعيين للمفعول، أى علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يكتب قلت: لأنه لو كتب لقيل قرأ القرءآن من صحف الأولين،

ومن كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره

لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتشكيل العلوم بآيات الجسمانية

لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية.

وفيه اشارة بديعة إلى أن أمته بين الأمم هم الروحانيون

وصفهم سبحانه فى الإنجيل

أمة محمد، أناجيلهم فى صدورهم

لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرآئعه عليه السلام

بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتم.

{ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰٓ }

(كلاَّ) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره

للمبالغة فى الزجر فيوقف عليه.

وقال السجاوندى يوقف على ما لم يَعلم لأنه بمعنى حقاً

ولذا وضع علامة الوقف عليه.

{ إن الانسان ليطغى }

أى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه،

بيان للمردوع والمردوع عنه قيل أن هذا الى آخر السورة

نزل فى أبى جهل بعد زمان وهو الظاهر.

{ أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ }

(أن رآه استغنى) مفعول له أى يطغى لأنه رأى وعلم نفسه مستغنياً

أو أبصر مثل أبى جهل وأصحابه ومثل فرعون ادعى الربوبية.

قال ابن مسعود: منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا

ولا يستويان أما طالب العلم فيزداد فى رضى الله وأما طالب الدنيا

فيزداد فى الطغيان وتعليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء

للايذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد.

رُوى أن أبا جهل قال لرسول الله عليه السلام أتزعم أن من استغنى طغى
فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى،

فندع ديننا ونتبع دينك، فنزل جبريل فقال: إن شئت فعلنا ذلك ،

ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة،

فكف رسول الله عن الدعاء إبقاء عليهم ورحمة .

وأول هذه السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال وكفى بذلك
مُرغباً فى العلم والدين ومُنفراً عن المال والدنيا وكان عليه السلام يقول:

(اللهم إنى أعوذ بك من غنى يُطغى وفقر يُنسى)

وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا رأى نفسه مُظهر بعض صفات ربه وأسمائه
يدَّعِيها لنفسه ويظن أن تلك الصفات والأسماء الإلهية المودعة فيه

بحكمةٍ بالغة ملك له، وهو مالكها فيعجب بها وبكمالاتها فيستغنى

عن مالكها الذى أودعها فيه، ليستدل بها على خالقه وبارئه.

{ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ }

(إن الى ربك الرُجعى) الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والألف للتأنيث

أى أن إلى مالك أمرك أيها الإنسان رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره، إستقلالاً أو اشتراكاً فسترى حينئذ عاقبة طغيانك.

وإن الجحيم كلها ليست صالحة لأعمال المال، ،

مترجم عن الفارسية

{ أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ } * { عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ }

(أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلَّى) الإستفهام للتعجيب والرؤية بصرية والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية وتنكير عبداً لتفخيمه عليه السلام

كأنه قيل ينهى أكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه،

والعدول عن ينهاك إلى ينهى عبداً دال على أن النهى كان للعبد

عن إقامة خدمة مولاه ولا أقبح منه.

روى أن أبا جهل قال فى ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى

لأطأن عنقه وفى التكملة نهى محمداً عن الصلاة وهَمَّ أن يلقى على رأسه حجراً فرآه فى الصلاة وهى صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك؟ فقال: إن بينى وبينه لخندقاً من نار وهَولا وأجنحة فنزلت،

والمراد أجنحة الملائكة، أبصر اللعين الأجنحة ولم يبصر أصحابها،

فقال عليه السلام:

" والذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضو عضوا "

وكان أبو جهل يُكنى فى الجاهلية بأبى الحكم لأنه كانوا يزعمون أنه عالم

ذو حكمة ثم سمى أبا جهل فى الإسلام.

يقول الفقير كان عليه السلام يدعو ويقول

" اللهم أعز الاسلام بأبى جهل أو بعمر "

فلما أعزه الله بعمر دل على أن عمر أسعد قريش،

كما أن أبا جهل أشقى قريش إذ الأشياء تتبين بأضدادها.

{ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَىٰ ٱلْهُدَىٰ }.

(أرأيت) رؤية قلبية معناه أخبرنى ذلك الناهى وهو المفعول الأول

{ إن كان على الهدى } فيما ينهى عنه من عبادة الله.

{ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ }

(أو أمر بالتقوى } أى أمر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان.

قوله إن كذب وتولى مقابل للشرط الأول وهو :

إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى

والآية فى الحقيقة تهكم بالناهى ضرورة أنه ليس فى النهى

عن عبادته تعالى والأمر بعبادة الأصنام على هُدىً البتة.

{ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ }

(أرأيت) أخبرنى ذلك الناهى { إن كذب وتولى } أى إن كان مكذِباً للحق

معرضا عن الصواب كما نقول نحن.

{ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ }

(ألم يعلم بأن الله يرى } جواب للشرطية الثانية أى يطلع على أحواله فيجاريه بها حتى اجترأ على ما فعل أى قد علم ذلك الناهى

أن الله يرى فكيف صدر منه ما صدر وإنما أفرد التكذيب.

وقيل المعنى أرأيت الذى ينهى عبداً يصلى والمنهى على الهدى أمراً بالتقوى والناهى مكذوب متول ولا أعجب من ذا وأن الله يرى.

قال ابو الليث :والآية عظة لجميع الناس

وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة.

وقال ابن الشيخ فى حواشيه وهذه الآية وان نزلت فى حق أبى جهل

لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك ابى جهل فى هذا الوعيد،

ولا يلزم عليه المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة والاوقات المكروهة

لأن المنهى عنه غير الصلاة وهو المعصية.

روى عن على كرم الله وجهه: رأى فى المصلى أقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك فقيل له: ألا ننهاهم؟ فقال

" أخشى أن ندخل تحت وعيد قوله تعالى أرأيت الذى ينهى عبداً اذا صلَّى "

فلم يصرح بالنهى عن الصلاة إحتياطاً.

وأخذ أبو حنيفة هذا الأدب الجميل

حتى قال له أبو يوسف: أيقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع

اللهم اغفر لى؟ قال: يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهى.

{ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِٱلنَّاصِيَةِ }

(كلاَّ) ردع للناهى اللعين وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات { لئن لم ينته } اللام موطئة للقسم المضمر أى والله لئن لم ينته

عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يُسلم قبل الموت،

والأصل ينتهى بالياء، يقال نهاه ينهاه نهيا ضد أمره فانتهى.

{ لنسفعا بالناصية } أصله لنسفعن بالنون الخفيفة للتأكيد،

ونظيره وليكوناً من الصاغرين، كتب فى المصحف بالألف على حكم الوقف، فإنه يوقف على هذا النون بالألف تشبيها لها بالتنوين،

والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة

والناصية شعر مقدم الرأس،

والمعنى لنأخذنَّ فى الآخرة بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار .

بمعنى لنأمرن الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجروه إلى النار بالتحقير والإهانة وكانت العرب تأنف من جر الناصية،

وفى عين المعانى الأخذ بالناصية عبارة عن القهر والهوان والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية الناهى المذكور،

ويحتمل أن يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بان يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه

إذا عاد إلى النهى فلما عاد مكنهم الله من ناصيته يوم بدر .

روى أنه لما نزلت سورة الرحمن قال عليه السلام:

" من يقرأها على رؤساء قريش "

فتثاقلوا فقام ابن مسعود وقال: أنا فأجلسه عليه السلام ثم قال ثانياً

من يقرأها عليهم فلم يقم إلا إبن مسعود ثم ثالثاً إلى أن أذن له

وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم ضعفه وصغر جثته

ثم أنه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة،

فافتتح قرآءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فشق أذنه وأدماها

فانصرف وعينه تدمع فلما رآه عليه السلام رق قلبه واطرق رأسه مغموما
فاذا جبرآئيل جاء ضاحكا مستبشراً فقال:

ياجبرائيل تضحك ويبكى ابن مسعود فقال

سيعلم

فلما ظفر المسلمون

يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ فى الجهاد

فقال له عليه السلام " خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان له رمق
فانك تنال ثواب المجاهدين " فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع
يخور فخاف أن تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منحره من بعيد
فطعنه ولعل هذا قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر
ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل

قال له يا رويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً

فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه.

فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن أحد أبغض إلى منه فى حال مماتى فروى أنه عليه السلام لما سمع ذلك قال:

فرعونى أشد من فرعون موسى فانه قال: آمنت وهو قد زاد عتواً

ثم قال يا ابن مسعود: اقطع بسيفى هذا لأنه أحَدّ وأقطع،

فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل الخيط فيها

وجعل يجره إلى رسول الله عليه السلام وجبرآئيل بين يديه يضحك

ويقول يا محمد أذن باذن لكن الرأس ههنا مع الأذن مقطوع

ولعل الحكيم سبحانه إنما خلقه ضعيفاً حتى لم يقو على الرأس المقطوع لوجوه أحدها

ليشق الأذن فيقتص الأذن بالأذن، و ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعاً بالناصية فيجر تلك الرأس على مقدمها.

قال ابن الشيخ والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية

ثم أنه تعالى كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب فى تخصيص السفع بها أنه كان شديد الإهتمام بترجيل الناصية وتطييبها.

{ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ }

(ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وإنما جاز إبدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها ووصف الناصية بالكذب والخطأ

كأن الكافر بلغ فى الكذب قولاً والخطأ فعلاً إلى حيث أن كلاً من الكذب والخطأ ظهر من ناصيته وكان أبو جهل كاذباً على الله

فى أنه لم يرسل محمدا وكاذباً فى أنه ساحر ونحوه وخاطئاً

بما تعرض له عليه السلام بأنواع الأذية.

{ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ } * { سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ }

(فليدع) من الدعوة يعنى أبو جهل { ناديه } أى أهل ناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون وقدر المضاف لأن نفس المجلس والمكان لا يدعى ولا يسمى المكان نادياً حتى يكون فيه أهله ودار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور

وهى الآن لمحفل الحنفى.

روى أن ابا جهل مر برسول الله وهو يصلى فقال ألم ننهك فاغلظ

على رسول الله فقال أتهددنى وأنا اكثر أهل الوادى نادياً يريد كثرة من يعينه فنزلت { سندع الزبانية } أى ملائكة العذاب ليجروه إلى النار وواحد منهم يغلب على ألف من أمثال اهل ناديه.

قال عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا.

اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من سندع خطأً

ولا موجب للحذف من العربية لفظاً ولعله للمشاكلة مع فليدع أو للتشبيه بالأمر فى أن الدعاء أمر لا بد منه .

وقال ابن خالويه فى اعراب الثلاثين آية الأصل سندعو بالواو

وغير أن الواو ساكنة فاستثقلتها اللام ساكنة فسقطت الواو فى المصحف من سندع ويدع الانسان ويمح الله الباطل وكذلك الياء من واد النمل

وان الله لهاد الذين آمنوا،

والعلة فيها ما انبأتك من بنائهم الخط على اللفظ. انتهى .

والزبانية فى الأصل فى كلام العرب الشُرط كصرد جمع شرطة بالضم

وهم طائفة من أعوان الولاة سُموا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم

بعلامات يعرفون بها كما فى القاموس والشرط بالتحريك العلامة،

والواحد زبنية كعفرية وعفرية الديك شعرة القفا التى يردها إلى يافوخه

عند الهراش من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع لأنهم يزبنون الكفار

أى يدفعونهم فى جهنم بشدة وبطش يعنى أن ملائكة العذاب سُموا بما سُمى به الشرط تشبيها لهم بهم فى البطش والقهر والعنف والدفع .

وقيل الواحد زبنى وكأنه نسب إلى الزبن ثم غُير إلى زبانية

كأنسى بكسر الهمزة وأصلها زبانى وقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء

بعد حذفها للمبالغة فى الدفع.

وفيه إشارة الى التجليات القوية الجلالية الجرارة،

أبا جهل: النفس الامارة، وأهل ناديه: الذى هو الهوى وقواه الظلمانية

إلى نار الخذلان وجهنم الخسران.

{ كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب }

(كَلاَّ) ردع بعد ردع للناهى المذكور وزجر له إثر زجر فهو متصل بما قبله ولذا جعلوا الوقف عليه وقفاً مطلقاً.

{ لا تُطعه } أى دُم على ما أنت عليه من معاصاة ذلك الناهى الكاذب الخاطئ كقوله تعالى ولا تطع المكذبين.

{ واسجد } وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به.

{ واقترب } وتقرب بذلك السجود الى ربك وفى الحديث

" أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد فأكثروا من الدعاء فى السجود "

كلمة ما مصدرية وأقرب مبتدأ حذف خبره ويكون تامة،

أى أقرب وجود العبد من ربه حاصل وقت سجوده.

وهذا محل سجود عند الثلاثة خلافاً لمالك وهم على أصولهم فى قولهم بالوجوب والسنية ثم أن السجود إشارة إلى إزالة حجاب الرياسة

وفى الحديث

" لا كِبر مع السجود "

وهذا يعني أن من سجد فقد زال عنه الكبر ونال شرف التكريم عند الله.

رُوى أن إبراهيم عليه السلام أضاف يوماً مائتى مجوسى فلما أكلوا

قالوا أمرنا يا إبراهيم قال: إن لى اليكم حاجة، فقالوا ما حاجتك؟

قال: اسجدوا لربى سجدة واحد فتشاوروا فيما بينهم فقالوا

إن هذا الرجل قد صنع معروفا كثيرا فلو سجدنا لربه ثم رجعنا إلى آلهتنا

لا يضرنا ذلك بشئ فسجدوا جميعا فلما وضعوا رؤسهم على الأرض،

ناجى إبراهيم ربه فقال:

إنى جهدت جهدى حتى حملتهم على هذا

ولا طاقة لى على غيره وانما التوفيق والهداية بيدك.

اللهم زين صدورهم بالاسلام

فلما رفعوا رؤوسهم من السجود أسلموا.

وللسجدة أقسام:

سجدة الصلاة ، وسجدة التلاوة ، وسجدة السهو ، وهذه مشهورة

وسجدة التعظيم لجلال الله وكبريائه، وسجدة التضرع إليه خوفاً وطمعاً
وسجدة الشكر له ، وسجدة المناجاة وهذه مستحبة

فى الأصح صادرة عن الملائكة.

وعن رسول الله عليه السلام وسائر الأنبياء والأولياء عليهم السلام

وقال أبو حنيفة ومالك سجود الشكر مكروه فيقتصر

على الحمد والشكر باللسان ، وقال الإمامان هى قربه يثاب فاعلها.

وقال القاشانى قرأ عليه السلام فى هذه السجدة أى سجدة إقرأ :

" أعوذ بعفوك من عقابك "

أى: بفعل لك من فعل لك "

" وأعوذ برضاك من سخطك " أى "بصفة لك من صفة لك "

"واعوذ بك منك " أى " بذاتك من ذاتك"

وهو معنى اقترابه بالسجود.

تجديد بفضل الله الكريم

تمت كمالة تأويلات وإشارات سورة العلق الجزء الثانى

إعداد راجى رحمة الله : قدرى جاد

الهرم_ على بن أبى طالب

2025_5_1